أوابد العرب في الشعر الجاهلي

الأستاذ المساعد سعد خضير عباس
جامعة ديالى - قسم اللغة العربيّة
كلية التربية - الاصمعي

تقديم:

الأوابدُ جمع آبدة، ويراد بها العادة المتأصلة التي جرى عليها العرب منذ زمن بعيد، وهذه الأوابد العربيّة لم يصل إلينا علمها إلاّ عن طريق الشعر الجاهلي، فهو الذي سجّلها لنا وحفظ صونها إلى أيامنا، فمن الغمط لذلك الشعر أن نقول أنّه لا يمثل الحياة العربيّة أصدق تمثيل مع أنّه في هذه الأوابد قد خلّف لنا علماً كثيراً، فهو يمثل العرب في حروبهم ومحالفاتهم، وفي أفراحهم وأتراحهم، وفي محافلهم، وبين جدران بيوتهم، حتى أنّه ليتغلغل فيظهرنا على عقائدهم وعلى أوهامهم، وهذه بعض عاداتهم وأوابدهم التي استنبطناها من شعرهم.

*** زواج القريبة:**

من عادتهم في الزواج أن لايتزوج الرجل من قريبته، لأنَّ ذلك يسبّب ضعف النسل. قال الشاعر:

فتى لم تلده بنت عمّ قريبـة فيضوى، وقد يضوي وديد الأقاربِ

وقال آخر[1]:

تجاوزت بنت العمّ وهي حبيبة مخـافة أن يضوي عليَّ سليلهـا

*** إغضاب المرأة للإنجاب:**

يعتقد العرب إن الرجل إذا أغضب امرأته عند الجماع أنجبت، وفي ذلك قال الشاعر:

تَسنَّمتُها غضبى فجاء مسهدا وانفع أولاد الرجـال المسهدِ

ويقال أنجب الأولاد ولد الفارك، وذلك لأنّها تبغض زوجها، فيسبقها بمائة فيخرج الشبه إليه، فيكون الولد ذكرا، وكذلك قالوا في ولد الفزعة[2]. وفي ذلك قال أبو كبير الهذلي[3]:

مما حملن به وهنَّ عواقدٌ حُبكَ الثياب فشبَّ غير مثقّلِ
حملت به في ليلة مزءودة كَرْها وعقدُ نطاقِها لم يُحلل

وكانت العرب تقول: مَن حملَتْ به أمّه وهي فزِعة جاء مفزّعا فقال "حملت به"، وقد تحزّمت للهرب فجاء الغلام لا يطاق.

*** وطء المقاليت للقتلى:**

كانوا يزعمون أنَّ المرأة المقلاة، وهي التي لا يعيش لها ولد إذا وطئت قتيلاً شريفاً بقي أولادها. وفي ذلك قال بشر بن أبي خازم[4]:

يظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزرُ

وذكر الحوفي أنَّ الكميت الشاعر قد تأثر بهذه العقيدة، أو لعلها ظلّت إلى عهده في مدحه الحسين بن عليّ (ع) فقال[5]:

وتطيل المرزآت المقاليـ ـتُ إليه القعودَ بعد القيام

*** نكاح المقت:**

وهو نكاح زوجة الأب، إذ كان من شأنهم فيه أنَّ الرجل إذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة يزوجها بعض إخوته بمهر جديد[6]. فكانوا يتوارثون النكاح كما يرثون المال. وقد نهى سبحانه وتعالى عن هذه العادة في محكم كتابه[7]. وقد تزوج عمرو بن معد يكرب امرأة أبيه بعده في الجاهلية، وهي التي قال فيها[8]:

تقولُ حليلتي لما قلتني شرائج بين كُدري وجونِ
تراه كالثغام يعلّ مسكا يسوء الفاليات إذا فليني

*** إرسال ذيول الثياب:**

كانت نساؤهم يرسلن ذيول ثيابهنَّ حتى تخفى آثارهن إذا مشين وفي ذلك قال آمرؤ القيس[9]:

خرجت لها أمشي تجرّ وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

*** ذهاب الخدر من الرجل:**

كانوا يقولون أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحبَّ الناس إليه ذهب عنه الخدر. قالت امرأة من كلاب[10]:

إذا خدرت رجلي ذكرت ابن مصعب
فإن قلت عبد الله أجلى فتورها

*** التهادي بالرياحين:**

من عادتهم التهادي بالرياحين في أيام المواسم والأعياد، وفي ذلك قال النابغة الذبياني[11]:

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسبِ

*** شق الأزار والبرقع:**

يفعلون ذلك لدوام المحبّة ويزعمون أنَّ المرأة إذا أحبّت رجلاً، ولم تشقّ عليه رداءه ويشقّ عليها برقعها فسد حبهما، وفي ذلك قال الشاعر[12]:

إذا شقّ برد شقّ بالبرد برقع دواليك حتى كلّنا غير لابسِ
فكم شققنا من رداء محبّر ومن برقع عن طفلة غير عانسِ

*** تراب المحبّة:**

كانت النساء في الجاهلية إذا غاب من يحببنه أخذن تراباً من موضع قدمه وموضع رجله، والعرب تزعم أنَّ ذلك أسرع لرجوعه. قال امرأة من العرب[13]:

أخذت ترابا من موطئ رجله غداةَ غدٍ كيما يثوب مسلما

*** عقد الرتم:**

الرتم نبت معروف، كان الرجل إذا أراد سفراً عمدَ إلى رتم فعقده، فإن رجع ورءَاهُ معقوداً اعتقد أنَّ امرأته لم تخنه وإن رآه محلولاً اعتقد خيانتها، وفي ذلك قال الشاعر[14]:

وَخانته لمّا رأتْ شيباً بمفرقهِ وغرّه حلفها والعقد للرتم

وقال آخر لاحياً على رجل من العرب أخذ يوصي قبل سفره، ويعقد في الرتم[15]:

هل ينفعنّك اليوم إن همتَ بهم كثرة ما توصي وتَعْقَاد الرتَم

*** التعليق والرمي:**

كانوا إذا لسع فيهم إنسان علّقوا عليه الحُلِيّ من الأساور وغيرها، ويتركونه سبعة أيام، ويمنع من النوم فيفيق. قال النابغة[16]:

فبتّ كأنّي ساورتنـي ضئيلـة من الرقش في أنيابها السمّ ناقعُ
يسهد من وقت العشاء سليمها لحليّ النساء في يديـه قعاقـع

فتحريك الحليّ في يد الملدوغ لئلا ينام فيدبّ فيه السمّ، وهي سُنّة متوارثة عندهم، وفي هذا قال عويمر النبهاني[17]:

فبتّ مُعنّى بالهموم كأنّني سقيمٌ نفى عنه الرقادَ الجلاجلُ

وكانوا يعلّقون كعب الأرنب على أنفسهم، ويزعمون أنّه وقاية من العين والسحر، قائلين أنَّ الجنّ تنفر من الأرانب لكونها تحيض، وفي ذلك قال الشاعر[18]:

ولا ينفعُ التعشيرُ إن حمّ واقع
ولا وَدَع يُغني ولا كعب أرنبِ

وقال آمرؤ القيس[19]:

أيا هند لا تنكحي بوهة عليه عقيقتُه أحْسَبـا
ملسعة وسط أرساغـه به عَسمٌ يبتغي أرنبـا
ليجعل في ساقه كعبها حذار المنية أنْ يعطبا

وكانوا يزعمون أنَّ الصبيّ إذا خيف عليه النظرة فعلّق سنّ الثعلب، وسنّ الهرة، وحيض السمرة، علق عليه شيء من ذلك سلم من آفته، وانّ الجنّية إذا أرادته لم تقدر عليه. وفي ذلك قالت آمرأة تصف ولداً[20]:

كانت عليه سنّة من هرّة وثعلب، والحيض حيض السُمره

واعتقد العرب أنَّ تعليق الأقذار النجسة على أجسادهم يقيهم من العين والحسد والجن والأرواح الخبيثة، وفي هذا قال الممزّق العبدي[21]:

ولو كنتُ في بيت تسدّ خصاصة حوالي من أبناء بكرة مجلسُ
ولو كان عندي خازيان وكاهن وعلّق أنجاساً عليَّ المنجّسُ
إذاً لأتتني حيث كنتُ منيّتي يخبُّ بها هادٍ اليَّ مُعفرِسُ

ويقولون أنَّ الغلام إذا أثغر فرمى سنَّة في عين الشمس بسبّابته وإبهامه وقال: أبدليني بها أحسن منها أمن على أسنانه العوج، والفلج والنغل، وفي ذلك قال طرفة[22]:

بدّلتْهُ الشمسُ مِن مَنْبِته بَرداً أبيضَ مَصقُولَ الأُشُرْ

*** النشرة والتمائم:**

من عادة العرب النشرة، وهي ضرب من السحر، ورقيّة يعالج بها من كان يظنّ أنَّ به مسّ من الجنّ. والتميمة قلادة تعلّق فيها العوذ وفيها قال أبو ذؤيب الهذلي[23]:

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفعُ

وقال آخر[24]:

بلادٌ بها حلّ الشباب تمائمي وأوّل أرض مسَّ جلدي ترابُها

إذ كان الطفل تعلّق أمّه عليه التمائم تعوذه من العين والحسد، فإذا كبر قطعت عنه، وفي النشرة يذكرّنا قول جرير[25]:

أدعوكَ دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به مَسّاً مِن الجنّ أو ريحاً من النشرِ

*** التشاؤم بالعطاس:**

كان من عادة العرب تشاؤمهم بالعطاس، وهذا آمرؤ القيس كان يتنبّه للصيد قبل أن يتنبّه الناس من نومهم لئلا يسمع عطاساً فيتشاءم بعطاسه، فيقول[26]:

وقد اغتدي قبل العُطاس بهيكل شديد منيع الجنب فعم المنطق

وقال آخر[27]:

وخرقٍ إذا وجهت فيه لغزوة مضيت ولم يحبسك عنه العواطسُ

*** الزجر والطيرة:**

وهما في معنى واحد، وأصله أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير، فإن طار يميناً كان له حكم، وإن طار شمالاً كان له حكم، وإن طار أماماً كان له حكم، وإن طار من فوق رأسه كان له حكم، ومن ثمَّ سمّيت الطيرة أخذاً من اسم الطير، وأكثر ما عوّلوا عليه من ذلك الغراب، ثمّ تعدّوه إلى غير الطير من الحيوان، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك، وربما انتهى بعض الزجر إلى حدّ الكهانة. وقد وردت السُنّة بإبطال حكم الزجر والطيرة. وقد فرّق العلماء بين الفأل والطيرة، بأنَّ الطيرة تقصد والفأل يأتي من غير قصد. وقد جاءت هذه العادة في مجموعة من النصوص الجاهلية، ومنها قول عنترة[28]:

ظعن الذين فراقعهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع

فزجرته ألاّ يفرّخ طيره أبداً ويصيح خائفاً يتفجع

وتوجّس زهير أن يرتحل عنه أحباؤه، لما سمع نعيق الغراب[29]:

ألقى فراقُهم في المقلتين قذى أمسى بذاك غراب البين قد نعقا

ويذكر النابغة الغراب ونعيبه[30]:

زعم العواذل أنّ رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود

وينفر علقمة من هذه العادة ويصفها بقوله[31]:

ومَن تعرّض للغربان يزجرها على سلامته لابدَّ مشؤوم

*** الغول والهامة:**

كانوا يزعمون أنَّ الغول تتراءى لأحدهم في الفلاة، فيتبعها، وهي تستهويه وربّما ادّعى أحدهم أنّه قابلها وقاتلها، قال تأبط شرّاً[32]:

أَلا مَن مخبر فتيان فهم بما لاقت عند رحى بطــانِ
بأني قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو أرض أخو سفر فخلي لي مكانـي
فشدّت شدّة نحوي فأهوت لها كفّي بمصقولٍ يمانــي
فأضربها بلا دهش فخرّت صريعاً لليدين وللجــرانِ

وكانوا يزعمون أنَّ الإنسان إذا قتل ولم يطالب بثأره خرج من رأسه طائر يسمّى الهامة وصاح: اسقوني اسقوني، حتى يُؤخذ بثأره. ولنا في الشعر نصوص كثيرة تؤكد هذه العادة. قال ذو الأصبع العدواني[33]:

ياعمرو الاّ تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

واستعطف عبيد بن الأبرص حجراً لما طرد بني أسد إلى تهامة بقصيدة قال فيها أنّ الوديان ملاء بتوجع المنكوبين وآهات المحروقين وأصوات الهام[34]:

في كلّ واد بين يثـ رب فالقصور إلى اليمامهْ
تطريب عان أو صيا ح محرّق أو صوت هامه

وقال ابو دؤاد الأيادي[35]:

سلط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام

ويذكر مُغلّس الفقعسي الهامة والثأر بقوله[36]:

له هامة تدعو إذا الليل جنّها بني عامر هل للهلالي ثائرُ

وصياح الهامة في الليل الرهيب كان في قول عبيد بن الأبرص[37]:

وخرقٍ تصيحُ الهام فيه مع الصدى
مخوُفٍ إذا ما جنّه الليلُ مَرْهوبِ

*** التعشير:**

زعم العرب ان الرجل إذا أراد دخول قرية فخاف وبائها، فوقف على بابها فعشّر "نهق كما ينهق الحمار"، ثم دخلها، لم يصبْه وباؤها. وفي ذلك قال عروة بن الورد[38]:

لعمري لئن عشّرت من خشية الردى نهاق الحمير أنّني لجزوعُ

*** تصفيق الضال:**

كان الرجل منهم إذا ضلَّ في الفلاة قلب ثوبه وحبس ناقته وصاح في أذنها كأنّه يومئ إلى إنسان وصفّق بيديه قائلاً: الوحي الوحي- النجاء النجاء- هيكل، الساعة الساعة، اليَّ اليَّ، عجّل، ثم يحرك ناقته، فيزعمون أنّه يهتدي إلى الطريق حينئذ. قال الشاعر:

وآذن، بالتصفيق من ساء ظنّه فلم يدر من أيّ اليدين جوابها

وقال ابو العملّس[39]:

فلو أبصرتني بلوى بطانِ أُصفّق بالبنان على البنانِ
فأقلب تارة خوفاً ردائي وأصرخُ تارة بأبي فلانِ
لقلت أبو العملس قد دهاه من الجنان خالعة العنانِ

*** جزّ ناصية الأسير:**

كانوا يجزّون ناصية الأسير إذا عفوا عنه، وأطلقوه، وكانوا يضعون شعره المجذور في كنائنهم. قال الخنساء[40]:

جززنا نواصي فرسانهم وكانوا يظنّون أن لا تجزا

وقال الحطيئة مادحاً لبغيض بن عامر مخاطباً الزبرقان[41]:

قد ناضلوك فسلّوا من كنائنهم مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاسِ

إذ أراد بالمجد التليد ذلك الشعر المجذور من نواصي الأسرى، وكانوا إذا تفاخروا أخرجوه ليَدلّوا على شجاعتهم. قال بشر بن أبي خازم[42]:

وإذ جزت نواصي آل بدر فأدوها وأسرى في الوثاق

*** شدّ اللسان:**

كان من مذاهب العرب أنّهم إذا أسروا أسيراً وكان شاعراً ربطوا لسانه بنِسعة، وعلى ذلك قول عبد يغوث القحطاني الحارثي[43]:

أقولُ وقد شدّوا لساني بنِسعة أمعشر تَيْم أطلقوا عن لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا فإنَّ أخاكم لم يكن من بوائيا

فإن تقتلوني تقتلوا بي سيّدا وإن تطلقوني تحربوني بماليا

*** البكاء والنواح على الميّت:**

كانت العرب في الجاهلية يوصون أهليهم بالبكاء والنواح عليهم إذا ماتوا، وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم. قال طرفة بن العبد(44):

فإن متّ فانعيني بما أنا أهله وشقّي عليّ الجيب يابنة معبدِ

وقال المتنخل الهذلي(45):

أقولُ لمّا أتاني الناعيان به لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجلُ

ومن مذاهبهم أنهم يقولون للميت إذا مات: لا تبعد. قالت الخرنق(46):

لا يَبْعدن قومي الذين همُ سُمُّ العُداة وآفة الجزْرِ
النـازلين بكلّ معتـركٍ والطيّبون معاقِد الأزْرِ

*** تحريم الخمر للأخذ بالثأر:**

حرمت العرب الخمر على أنفسهم مدّة طلبهم للثأر، لأنها مشغلة لهم عن كريم الأخلاق والاقبال على الشهوة. قال آمرؤ القيس(47):

لا تسقني الخمر إن لم يـروا قتلي فِئاما بأبـي الفاضـلِ
حلّت لي الخمر وكنت امرءا عن شربها في شغل شاغلِ

وقال الشنفري يرثي خاله تأبط شراً، ويذكر إدراكه ثأره(48):

فأدركنا الثأر منهم ولمـا ينج من الحيان إلا الأقلُّ
حلّت الخمر وكانت حراما وبلأيٍ ما ألمّتْ تحِـلّ

*** حبس البلايا:**

إذا مات الرجل منهم شدّوا ناقته إلى قبره وأقبلوا برأسها إلى ورائها، وشدّوا رأسها بوليّة "برذعة"، فإذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى، ويزعمون أنّهم إذا فعلوا ذلك حضرت معه في المعاد ليركبها. وفي ذلك قال عويمر النبهاني(49):

أبني لا تنسَ البليّة انها لأبيك يوم نشوره مركوب

وقال جُريبة الفقعسي لإبنه طالباً أن يحبس ناقته على قبره ليركبها في الحشر(50):

لا تتركنّ أباك يحشر راجـلا في الحشر يُصرع لليدين وينكبُ
واحمل أباك على بعير صالح وتقِ الخطيئة انّـه هـو أقـرب
ولعل لي مما تركت مطيّـة في القبر أركبها إذا قيل: اركبوا

*** كي الصحيح ليبرأ الأجرب:**

كانوا يزعمون أنَّ الإبل إذا أصابها عرٌّ، وهو الجربُ، فكوّوا صحيحاً إلى جانبه ليشمّ رائحته برئ، وربّما زعموا أنّه يؤمن معه العدوى. وفي ذلك قال النابغة الذبياني[51]:

وكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العرّ يكوى غيره وهو راتعُ

*** طلاء البعير الأجرب:**

كانت من عادتهم وما جرت العادة من إبعاد البعير الذي حلَّ به الجرب عن سائر الإبل بعد طليه بالقار، وانَّ ذلك كناية عن الابعاد، كما في قول النابغة[52]:

فلا تتركني بـالوعيد كـأنّني إلى الناس مطليّ به القار أجربُ

*** تخضيب صدر الخيل:**

من عاداتهم أنّهم إذا أرسلوا خيلهم على صيد، فسبق أحدهم خضّبوا صدره بدم الصيد علامة له، وفي ذلك قال امرؤ القيس[53]:

كأنَّ دماء الهاديات بنحره عصارة حِنّاءٍ بشيب مُرَجّلِ

*** ضرب الثور ليشرب البقر:**

كانوا يزعمون أنّ الجن تركب الثيران فتصّد البقر عن الشرب، فيضربون الثور ليطير الشيطان عن رأسه، فتشرب البقر، وفي ذلك قال نهشل بن جري[54]:

كذلك الثور يضرب بالهراوى إذا ما عافت البقر الظماء

وقد علل الجاحظ ذلك الضرب بعلّة تخرجه عن أن يكون وهماً، وتجعله رأياً حصيفاً ومعرفة بطبائع الحيوان فقال: "وكانوا إذا أرادوا البقر فلم تشرب، أما لكدر الماء أو لقلّة العطش ضربوا الثور ليقتحم الماء لأنَّ البقر تتبعه، كما تتبع الشول الفحل، وكما تتبع أتن الوحش الحمار"[55]. وكانوا يزعمون أنَّ الجن هي التي تصدّ الثيران عن الماء، حتى تمسك البقر عن الشرب فتهلك، قال الأعشى[56]:

فإنّي وما كلفتموني وربكم لأعلم من أمسى أعقّ وأحربـا
لكالثور والجنيّ يضرب رأسه وما ذنبه ان عافت الماء مشربا
وما ذنبه ان عافت الماء باقر وما أن تعافوا الماء إلاّ لتضربا

*** التفقئة والتعمية:**

كان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقأ عين الفحل، وهي التفقئة، فإن زادت على ذلك فقأ العين الأخرى، وهي التعمية. ويزعمون ان ذلك يدفع العين عن الإبل، وفي ذلك قال شاعرهم[57]:

وهبتها وأنت ذو امتنان تفقأ فيها أعين البعران

وكان بشامة بن الغدير كثير المال، وكان ممن فقأ عين بعيره. قال الشاعر[58]:

فكان شكر القوم عند المِننِ كي الصحيحات وفقء الأعينِ

*** النسيء:**

من عادتهم إذ كانت العرب تحرّم القتال في أربعة أشهر من العام، وهي ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب، وإذا اضطرتهم الأحوال إلى القتال طلبوا نسأ شهر فيها، وهو في الغالب المحرّم يؤخرّونه شهراً، ويعدّون القدرة على النسيء مفخرة. قال شاعرهم[59]:

ونحن الناسئون على معدّ شهور الحلّ نجعلها حراما

وتأخيرهم المحرّم إلى صفر في تحريمه، وجعل صفر هو الشهر الحرام، فأبطله الإسلام بقوله تعالى ((إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ))[60]، وقال آخر في ذلك[61]:

أتزعم أنّي من فقيم بن مالك لعمري لقد غيّرت ما كنت أعلم

لهم ناسئ يمشون تحت لوائه يحلّ إذا شاء الشهورَ ويحرم

*** الوأد:**

كانوا يقتلون البنات خشية العار، أو العوز والفاقة، فكان الرجل منهم يقتل أولادَه مخافة أن يطعم معه، وكان ممّن فعل ذلك قيس ابن عاصم المنقري، إذ اشتهر بالوأد مع كونه من ذوي المال والجاه. وقد ورد في القرآن الكريم إعظام ذلك والنهي عنه[62]. وكان من العرب مَنْ يبذل المال ليفتدي المؤودات كما فعل صعصعة بن ناجية، إذ قال الفرزدق يفتخر بفعال جدّه[63]:

ومنّا الذي منع الوائدا تِ وأحيا الوئيد فلم توأدِ

*** الأزلام والقداح:**

وهي ضرب من الطيرة، كانوا إذا أرادوا فعل أمر ولا يدرون ما الأمر فيه، أخذوا قداحاً مكتوباً على بعضها افعل، وعلى بعضها لا تفعل، وعلى بعضها نعم، وعلى بعضها لا، وعلى بعضها خذ، وعلى بعضها سر، وعلى بعضها سريع. فإذا أراد أحدهم سفراً مثلاً أتى إلى سادن الأوثان، فيضرب له بتلك القِداح، ويقول: اللّهم أيّها كان خيراً له فأخرجه، فما خرج له عمل به. وقد نهى القرآن الكريم عن ذلك[64]. وتطالعنا في الشعر مجموعة من النصوص تذكر الأزلام والقداح، فهذا طرفة يقول[65]:

أخذَ الأزلامَ مُقْتسِمـا فأتى أغواهُما زُلَمُـهْ

عند أنصابٍ لها زُفرٌ في صَعيد جَمَّةٍ أدَمُهْ

ووصف أبو ذؤيب الهذلي أتن وحش وفحلها، فيقول[66]:

وكأنهنّ رِبابة وكأنّه يَسَرٌ يُفيض على القِداح ويَصْدعُ

وفي ديوان حسان بن ثابت في حديث الغزال، قال ابو مسافع[67]:

فاستقسموا فيه بالأزلام علّكم أن تخبروا بمكان الرأس والأثر

*** البحيرة والوصيلة:**

كانت الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا إلى الخامس منها ما لم يكن ذكراً، فشقّوا أذنها وتركوها، فلا يجزّ لها وبر، ولا يحمل عليها شيء، ولا يذكر عليها إن ذكيت اسم الله تعالى، وتكون ألبانها للرجال دون النساء، وهي البحيرة. وكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن عمدوا إلى السابع، فإن كان ذكراً ذبح، وإن كان أنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى قيل وصلت أخاها فحرّما جميعاً، وكانت منافعهما ولبن الأنثى منهما للرجال دون النساء، وهي الوصيلة. وقد أخبر الله تعالى ببطلان ذلك كلّه[68]. وجاء في شعرهم ذكر ذلك. قال تميم بن مقبل[69]:

فيه من الأخرج المرباع قرقرة هَدرَ الديافي وسط الهجمة البحْرُ

وقال آخر[70]:

حول الوصائل في شُريف حِقّةٌ والحامياتُ ظُهورَها والسُيَّبُ

خاتمة البحث

هذه مجموعة من الأوابد العربيّة والتقاليد الجاهليّة جرى عليها العرب منذ أمد بعيد، مستخرجة من النصوص الشعريّة- وقد نهى القرآن الكريم عن قسم منها-، وهي تمثل الحياة العربيّة الجاهلية أصدق تمثيل ومعايشة، وتبيّن مدى تفكيرهم، وعمق نظرتهم للحياة في جميع مجالاتها وشؤونها، ونحن العرب إلى وقتنا الحاضر نستذكر بعض هذه العادات الآبدة في حياتنا اليومية في زواج الأقارب، وذكر الأحبّة، والتهادي بالورود والرياحين، وفي تعليق أنواع من الرقي والتمائم مخافة العين والحسد، وفي التشاؤم من أصوات بعض الحيوانات والطيور، وفي التشاؤم من العطاس، وفي البكاء والنواح على الميت زمناً طويلاً، وكل هذا نراه واضحاً ماثلاً جليّاً، عرضه الشاعر العربي الجاهلي لنا في شعره، وقد استمد هذه الأوابد من معايشته الحياة العربيّة بأدقّ تفاصيلها، فلا عجبَ أن يكون هذا الشعر المرآة الصادقة لحياة هذه الأمة المعطاء.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.
-الأصنام لهشام بن السائب الكلبي، تحقيق: أحمد زكي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، 1965م.
-الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية، القاهرة، 1972م.
-بلوغ الأرب في أحوال العرب لمحمود شكري الآلوسي، تحقيق وشرح: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت.
-البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م.
-حماسة البحتري، تحقيق: لويس شيخو، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1967م.
-الحياة العربيّة من الشعر الجاهلي، د.أحمد محمد الحوفي، مطبعة نهضة مصر، ط4، 1962م.
-الحيوان للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، ط2، القاهرة.
-ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط3، 1969م.
-ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1960م.
-ديوان تأبط شرّاً، تحقيق: القرة غولي وجاسم، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط1، 1973م.
-ديوان جرير، دار صادر، بيروت، د.ت.
-ديوان حسان بن ثابت، دار صادر، بيروت، د.ت.
-ديوان الحطيئة، دراسة وتبويب: د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2003م.
-ديوان الخنساء، دار الأندلس، ط5، بيروت، 1968م.
-ديوان ذي الإصبع العدواني، تحقيق: العدواني والدليمي، مطبعة الجمهور، الموصل، 1973م.
-ديوان شعر الخرنق بنت بدر، تحقيق: د.حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1969م.
-ديوان طرفة بن العبد، شرح: الأعلم الشنتمري، تحقيق: دريّة الخطيب ولطفي الصقال، ط2، دائرة الثقافة والفنون، البحرين، 2000م.
-ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1964م.
-ديوان عروة بن الورد، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1964م.

-ديوان علقمة بن عبدة، تحقيق: الصقال والخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ط1، 1969م.
-ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، 1970م.
-ديوان الفرزدق، مطبعة الصاوي، القاهرة، 1936م.
-ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ذخائر العرب.
-ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، نشر الدار القومية، القاهرة، 1965م.
-السيرة النبويّة لابن هشام، تحقيق: السقا وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1955م.
-شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، الدار القومية، مصر، 1964م.
-شرح القصائد العشر للتبريزي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط2، مصر، 1964م.
-صبح الأعشى للقلقشندي، المؤسسة المصرية للتأليف، مصر، 1963م.
-القصائد الهاشميات للكميت بن زيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1972م.
-لسان العرب لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت.
-محاولات في دراسة اجتماع الأدب، د.نوري القيسي، دار الشؤون الثقافية، ط1، بغداد، 1987م.
-المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1970م.

الهوامش

(1) بلوغ الأرب 10/2.

(2) بلوغ الأرب 12/2.

(3) ديوان الهذليين 92/2.

(4) الديوان: 88.

(5) الحياة العربيّة: 498. وينظر: القصائد الهاشميات: 20؛ بلوغ الأرب 318/2.

(6) بلوغ الأرب 52/2-53.

(7) سورة النساء/الآية 19، والآية 22.

(8) بلوغ الأرب 53/2.

(9) الديوان: 14؛ شرح القصائد العشر للتبريزي: 85.

(10) بلوغ الأرب 320/2.

(11) الديوان: 47.

(12) بلوغ الأرب 322/2؛ والنص لسحيم عبد بني الحسحاس.

(13) بلوغ الأرب 339/2.

(14) الحياة العربيّة: 509؛ بلوغ الأرب 317/2.

(15) الحياة العربيّة: 509.

(16) الديوان: 33. وينظر: الحيوان 247/4.

(17) بلوغ الأرب 305/2.

(18) الحيوان 358/6؛ صبح الأعشى 406/1.

(19) الديوان: 128.

(20) بلوغ الأرب 325/2.

(21) حماسة البحتري: 139.

(22) الديوان: 66. وينظر: بلوغ الأرب 318/2.

(23) ديوان الهذليين 3/1.

(24) بلوغ الأرب 9/3.

(25) الديوان (نشر دار صادر)، ص211.

(26) الديوان: 172.

(27) بلوغ الأرب 332/2.

(28) الديوان: 262–263؛ الحيوان 16/3.

(29) شرح ديوانه: 41؛ بلوغ الأرب 337/2.

(30) الديوان: 89؛ الأغاني 157/9.

(31) الديوان: 67.

(32) الديوان: 172؛ بلوغ الأرب 342/2.

(33) الديوان: 92؛ بلوغ الأرب 312/2.

(34) الديوان: 137.

(35) بلوغ الأرب 312/2؛ المفصّل 140/6.

(36) بلوغ الأرب 312/2؛ الحياة العربية: 495.

(37) الديوان: 38.

(38) الديوان: 46؛ بلوغ الأرب 315/2.

(39) بلوغ الأرب 316/2؛ الحياة العربيّة: 500.

(40) الديوان (نشر دار الأندلس): 87.

(41) الديوان: 120.

(42) بلوغ الأرب 15/3.

(43) بلوغ الأرب 17/3. والنِسعة: سيرٌ منسوج.

(44) الديوان: 56.

(45) ديوان الهذليين 37/2.

(46) الديوان: 29.

(47) الديوان: 122.

(48) بلوغ الأرب 24/3.

(49) بلوغ الأرب 309/2؛ الحياة العربيّة: 417.

(50) بلوغ الأرب 307/2–308؛ الحياة العربيّة: 418.

(51) الديوان: 37.

(52) الديوان: 73.

(53) الديوان: 23؛ شرح القصائد العشر للتبريزي: 114.

(54) حماسة البحتري: 353؛ بلوغ الأرب 303/2.

(55) الحيوان 53/6.

(56) حماسة البحتري: 352.

(57) الحيوان: 17/1.

(58) البيان والتبيين 66/3.

(59) لسان العرب 135/6، 463/4؛ بلوغ الأرب 74/3؛ المفصّل 140/6.

(60) سورة التوبة/الآية 37.

(61) بلوغ الأرب 74/3.

(62) سورة التكوير/الآية 8؛ وسورة الإسراء/الآية 31.

(63) الديوان 203/1. وينظر: بلوغ الأرب 42/3–53؛ محاولات في دراسة اجتماع الأدب، ص120.

(64) سورة المادة/الآية 3.

(65) الديوان: 86. وينظر: الحديث عن الأزلام والقِداح مفصّلاً في بلوغ الأرب 66/3.

(66) ديوان الهذليين 6/1.

(67) ديوان حسان بن ثابت: 27.

(68) سورة المائدة/الآية 103.

(69) السيرة النبويّة، م1، ص90–91؛ الأصنام: 8؛ بلوغ الأرب 36/3؛ الحياة العربيّة: 399.

(70) السيرة النبويّة، م1، ص90–91.